

تفسير السعدي

@ 625 @ في كتبه وأخبرت بها رسله ، التي جمعت كل نعيم ، واندفع عنها كل مكدر ومنغص
! 2 . ! 2 ! دارا وقرارا ! 2 ! أي : ليس لهم إرادة فكيف العمل للعلو في الأرض ، على
عباد الله ، والتكبر عليهم وعلى الحق ! 2 ! وهذا شامل لجميع المعاصي . فإذا كانوا لا
إرادة لهم في العلو في الأرض ، ولا الفساد ، لزم من ذلك ، أن تكون إرادتهم مصروفة إلى
الله ، وقصدهم الدار الآخرة ، وحالهم التواضع لعباد الله ، والانقياد للحق والعمل الصالح .
وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة الحسنى ، ولهذا قال : ! 2 ! أي : حالة الفلاح
والنجاح ، التي تستقر وتستمر ، لمن اتقى الله تعالى . وغيرهم وإن حصل لهم بعض الظهور
والراحة فإنه لا يطول وقته ، ويزول عن قريب . وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة ، أن
الذين يريدون العلو في الأرض ، أو الفساد ، ليس لهم في الدار الآخرة ، نصيب ، ولا لهم
منها حظ . ! 2 ! 2 ! يخبر تعالى عن مضاعفة فضله ، وتمام عدله فقال : ! 2 ! 2 ! شرط فيها
أن يأتي بها العامل ، لأنه قد يعملها ، ولكن يقترب بها ما لا تقبل منه ، أو يبطلها ،
فهذا لم يجء بالحسنة . والحسنة ، اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله ، من الأقوال
والأعمال الظاهرة ، والباطنة ، المتعلقة بحقه تعالى ، وحقوق العباد ! 2 ! 2 ! أي : أعظم
وأجل ، وفي الآية الأخرى ! 2 ! 2 ! . هذا التضعيف للحسنة ، لا بد منه ، وقد يقترب بذلك من
الأسباب ، ما تزيد به المضاعفة كما قال تعالى : ! 2 ! 2 ! بحسب حال العامل وعمله ، ونفعه
، ومحلّه ، ومكانه . ! 2 ! 2 ! وهي كل ما نهى الشارع عنه ، نهى تحريم . ^ (فلا يجزى الذي
علموا السيئات إلا ما كانوا يعملون) ^ كقوله تعالى : ^ (من جاء بالسيئة فلا يجزي إلا
مثلها وهم لا يظلمون) ^ . ^ (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من
جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين * وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا
تكونن ظهيرا للكافرين * ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن
من المشركين * ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم
وإليه ترجعون) ^ يقول تعالى : ! 2 ! 2 ! أي : نزله ، وفرض فيه الأحكام ، وبين فيه الحلال
والحرام ، وأمرك بتبليغه للعالمين ، والدعوة لأحكامه ، جميع المكلفين ، لا يليق بحكمته ،
أن تكون هي الحياة الدنيا فقط ، من غير أن يثاب العباد ويعاقبوا . بل لا بد أن يردك إلى
معاد ، يجازى فيه المحسنون بإحسانهم ، والمسيئون بمعصيتهم . وقد بينت لهم الهدى ،
وأوضحت لهم المنهج . فإن تبعوك ، فذلك حظهم وسعادتهم . وإن أبوا إلا عصيانك ، والقصد
بما جئت به من الهدى ، وتفضيل ما معهم من الباطل على الحق ، فلم يبق للمجادلة محل ،

ولم يبق إلا المجازاة على الأعمال من العالم بالغيب والشهادة ، والمحق والمبطل ، ولهذا
قال : ! 2 2 ! وقد علم أن رسوله هو المهتدي الهادي ، وأن أعداءه هم الضالون المضلون .
2 ! 2 ! أي : لم تكن متحريرا لنزول هذا الكتاب عليك ، ولا مستعدا له ، ولا متصديا . ! 2
2 ! وبالعباد ، فأرسلك بهذا الكتاب ، الذي رحم به العالمين ، وعلمهم ما لم يكونوا
يعلمون ، وزكاهم ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . فإذا علمت
أنه أنزل إليك رحمة منه ، علمت ، أن جميع ما أمر به ، ونهى عنه ، رحمة ، وفضل من الله .
فلا يكن في صدرك حرج من شيء منه ، وتظن أن مخالفته ، أصلح وأنفع . ! 2 2 ! أي : معينا
لهم على ما هو من شعب كفرهم . ومن جملة مظاهرتهم ، أن يقال في شيء منه ، إنه خلاف
الحكمة والمصلحة والمنفعة . ^ (ولا يصدك عن آيات الله بعد إذا أنزلت إليك) ^ بل أبلغها
وأنفذها ، ولا تبال بمكرهم ولا يخدعك عنها ، ولا تتبع أهواءهم . ! 2 2 ! أي : اجعل
الدعوة إلى ربك ، منتهى قصدك وغاية عملك . فكل ما خالف ذلك ، فرفضه ، من رياء ، أو
سمعة ، أو موافقة أغراض أهل الباطل ، فإن ذلك داع إلى الكون معهم ، ومساعدتهم على
أمرهم ولهذا قال : ! 2 2 ! لا في شركهم ، ولا في فروعه وشعبه ، التي هي جميع المعاصي .